نشأة دولة المماليك

في مصر

obeikandl.com

obeikandl.com

نشأة دولة المماليك في مصر

انتهى عصر الدولة الأيوبية في مصر والشام بمقتل الملك تورانشاه – الذي تولى السلطنة بعد موت أبيه السلطان نجم الدين أيوب – في عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠ م، وكان هذا التاريخ هو بداية قيام دولة المماليك، بتولي شجرة الدر ملك مصر.

وشجرة الدر: هي الملكة عصمة الدين أم خليل، كانت تركية الجنس، وعلى جانب وافر من الجمال، بعث بها الخليفة العباسي المستعصم بالله من بغداد إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب في القاهرة، فتزوجها، وأنجب منها ابنًا اسمه خليل توفي وهو صغير.

obeikandl.com

وكانت شجرة الدر تتحلى بالدهاء وحسن السياسة، وقد وصفها ابن إياس في «بدائع الزهور»: «بأنها امرأة صعبة الخلق، شديدة الغيرة، قوية البأس، ذات شهامة زائدة، وحرمة وافرة، سكرانة من خمرة التيه العجب!».

وقد تجلى دهاءها وحسن سياستها عندما توفى زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب أثناء محاربة المسلمين للصليبيين في مصر، فأوصت بكتمان خبر وفاته حتى لا يقع الاضطراب في صفوف الجيش، واستمرت هي تتابع الخطة الحربية، وتشرف على تنفيذها، وتراقب سير المعركة،، ولم يعرف أحد بخبر الوفاة سوى فخر الدين يوسف بن حموية قائد الجيش، وأشاعت شجرة الدر أن السلطان اشتد به المرض، وظلت الأطعمة والأشربة تدخل للسلطان في مواعيدها، واستمرت المناشير والأوامر الحكومية تصدر بتوقيع السلطان المتوفى، وإذا سأل أحد عن السلطان أجابته شجرة الدر

obeikandi.com

بأنه مريض ، وما يدخل عليه إلا الأطباء، ثم بادرت شجرة الدر في هذا الوقت بإرسال زعيم المماليك البحرية ويدعى أقطاي في مهمة سرية إلى حصن كيفا في شمال العراق لاستدعاء تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ليتولى السلطة، حيث كان نائبًا عن أبيه في ذلك الحصن، ولما حضر تورانشاه طلبت شجرة الدر من أكابر رجال الدولة أن يبايعوه ملكًا عليهم، وأن يتولى قيادة المعركة.

وبعد انتهاء المعركة بنصر المسلمين على الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع، انقلب السلطان تورانشاه على شجرة الدر زوجة أبيه.

شجرة الدر

خريطة : الحملة الصليبية السابعة على مصر سنة ٦٤٧هـ

لويس التاسع بعد القبض عليه

ولم يحفظ لها حسن صنيعها معه، وأنها صانت له ملك أبيه ، وأتت به من كيفا لتولي السلطنة ، بل تنكّر لها، وأساء معاملتها ، واضطهد أنصارها، واتهمها بسرقة أموال أبيه، فاستنجدت شجرة الدر بزعماء المماليك البحرية، الذين حرصوا على التخلص منه بسبب غلظته معهم ، وسوء معاملته لهم، فقاموا بقتله في فارسكور – في الثامن والعشرين من المحرم سنة ٦٤٨هـ ،

الموافق الثاني من مايو ١٢٥٠م – بعد أن عقد اتفاقية مع لويس التاسع يتعهد فيها لويس بدفع مبلغ كبير من المال مقابل إطلاق سراحه من الأسر، وعقب مقتل تورانشاه نادى كبار رجال الدولة بتولية شجرة الدر، وأن تكون سلطانة على مصر، وهي أول ملكة مسلمة حكمت مصر في العصر الإسلامي، وقد أخذت البيعة لها في العاشر من صفر سنة ٦٤٨هـ/ مايو ١٢٥٠م.

وقد تلقبت شجرة الدر بعدة ألقاب منها: «الملكة عصمة الدين شجرة الدر» و «الستر العالي والدة الملك خليل»، ودعى لها على المنابر، ونقش اسمها على السكة، بـ «المستعصمية[1] الصالحية، ملكة المسلمين، والدة الملك المنصور خليل أمير المؤمنين».

وقد أخذت شجرة الدر تتقرب من أمراء المماليك، وتمنحهم الرتب والإقطاعات، كما خفضت الضرائب عن الأهالي لتستميل قلوبهم، وساست الرعية أحسن سياسة، ومما يحمد لها أنها عملت على إخفاق حملة صليبية كبيرة على مصر، عندما قامت بتصفية الموقف مع الصليبيين، وإنهاء المفاوضات التي بدأها معهم تورانشاه لترحيلهم عن البلاد المصرية، وكان المفاوض المصري الأمير حسام الدين أبو علي الهذباني قد اتفق مع الملك لويس التاسع على تسليم دمياط وإخلاء سبيله وسبيل من معه من كبار

(١) ويبدو أنها سجلت نسبتها إلى الخليفة العباسي المستعصم في السكة والخطبة ترضية للخليفة العباسي حتى يعترف بشرعية حكمها.

الأسرى مقابل فدية قدرها ثمانمائة ألف دينار، يدفع نصفها قبل رحيله، ويدفع النصف الآخر بعد وصوله عكا، وبموجب هذا الاتفاق تم دفع نصف الدية[١].

صورة توضح دفع دية لويس التاسع

(١) كانت ملكة فرنسا مرجريت دي بروفانس قد رافقت زوجها لويس التاسع في تلك الحملة، وبقيت بدمياط مدة وجود الصليبيين بالديار المصرية، وهي التي قامت بجمع نصف الدية، وكانت وهي في دمياط أنجبت ولدًا وأسمته جان تريستان، أي وليد الأحزان!!

obeikandl.com

ثم غادر لويس التاسع وأتباعه إلى عكا في صفر سنة ٦٤٧هـ/ ٧مايو ١٢٥٠م ، وبذلك انتهت الحملة الصليبية التي اقترنت حوادثها بنهاية الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك في مصر.

ولم يكن اعتلاء شجرة الدر عرش السلطنة على مصر يلقى قبولًا من بعض الرعية وعدد من الفقهاء وعلى رأسهم الإمام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله ، وأمام هذه المعارضة لشجرة الدر اضطر أمراء المماليك المؤيدين لشجرة الدر أن يكتبوا إلى الخليفة العباسي المستعصم بالله ،

يطلبون منه تعضيد مركز شجرة الدر بسند شرعي يتمثل في إقرارها على السلطة، غير أن الخليفة المستعصم أنكر ذلك ولم يتردد في إبداء معارضته لتوليتها السلطنة، وكتب إلى أهل مصر يقول: «إن كانت الرجال قد عدمت عندكم، فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلًا»، وبعد وصول خطاب الخليفة العباسي تحرج مركز شجرة الدر، مما جعل أمراء المماليك يفكرون في حيلة تجعل شجرة الدر بجوارهم دون اعتلائها عرش السلطنة، فأسرعوا بتزويج شجرة الدر من أحدهم وهو الأمير عز الدين أيبك[1] التركماني، الذي لقب بالملك المعز، وتنازلت له شجرة الدر عن السلطنة بعد أن حكمت البلاد ثمانين يومًا.

وكما شاركت شجرة الدر زوجها الصالح نجم الدين أيوب في إدارة شؤون البلاد، فقد فعلت الشيء نفسه مع زوجها أيبك طيلة السنوات السبع التي ولي فيها السلطنة، بل إنها كانت تستبد ببعض الأمور، ولا تطلعه عليها، وقيل أيضًا: إنها كانت تتحكم فيه إلى أنها ألزمته بطلاق امرأته الأولى، أم ولده علي، وكانت تتزعم حزبًا قويًا من الأمراء والمماليك وتطلب مشورتهم في الأمور العظام، فإذا رأت رأيًا منهم استصوبته أخذت

(١) لفظ أيبك يتركب من كلمتين هما: آي ومعناها القمر، وبك ومعناها الأمير، فمعنى الاسم «الأمير القمر»، وهو مملوك تركي، كان مملوكًا للملك الصالح نجم الدين أيوب، وهو أول مملوك تركي يتبوأ السلطنة.

به ، وإذا استصوبوا لها رأيًا أقروها عليه، وهؤلاء المماليك حاولوا الدفاع عنها عندما تم القبض عليها بعد أن قتلت زوجها أيبك ، وأودعت البرج الأحمر بالقلعة.

ولم يكن تولي أيبك لعرش السلطنة في مصر يلقى إجماعًا من زعماء المماليك، لأن أيبك لم يكن أكبر أمراء المماليك سنًا، أو أقدمهم خدمة ، أو أقواهم مكانًا ونفوذًا ، إذ كان يوجد فيهم هم أكبر وأقدم وأقدر منه مثل فارس الدين أقطاي والظاهر بيبرس ، وقد ذكر بعض المؤرخين أن هؤلاء المعترضين على أيبك قد بايعوه في أول الأمر بالرغم من نقص صفاته عنهم، حتى يسهل عليهم عزله متى شاءوا .

ثم إن هذه المعارضة الداخلية لأيبك قد تزامنت مع معارضة خارجية شديدة أتت من الشام، حيث انتفض الأمراء الأيوبيون ، ونادوا بخلع أيبك، وعودة الحكم للأيوبيين، ولما كان أيبك يتحلى بالدهاء وحسن السياسية فقد استطاع احتواء هذه المعارضة الخارجية، فجمع أصحابه من المماليك ، وتشاور معهم ثم استقر رأيهم على أن يشركوا في الحكم مع أيبك طفلًا من سلالة الأيوبيين ، وهو الأشرف موسى حفيد الملك الكامل محمد، وكان في نحو السادسة من عمره ، على أن تكون جميع الأمور في يد المعز أيبك، ولكن هذا القرار لم يسكت غضب الأيوبيين في الشام، فاضطر

المعز أيبك إلى أن يعلن في جميع أنحاء البلاد أن مصر تابعة للخيفة العباسي المستعصم بالله، وأن الملك المعز أيبك نائبه بها، ورغم ذلك صمم الملك الناصر يوسف صاحب حلب على الخروج من الشام بجيوشه قاصدًا الديار المصرية بهدف الاستيلاء عليها وإعادتها إلى حكم الأيوبيين.

الملك الناصر يوسف

وحتى يضمن الملك الناصر يوسف النجاح لحملته على مصر فقد رأى أن يضم إلى جانبه الملك لويس التاسع المقيم في عكا، وعرض عليه مقابل ذلك تسليمه بيت المقدس الذي كان تحت امرأة الأيوبيين في ذلك الوقت، وعلم أيبك بأنباء هذه المفاوضات ، فأرسل إلى الملك لويس تهديدًا بقتل أسرى الصليبين المقيمين بمصر إن قام بأي عمل عدائي ضده ، وفي الوقت نفسه أبدى له استعداده لتعديل معاهدة دمياط، والتنازل له عن نصف

الدية المقررة ، إن تحالف معه ضد الناصر يوسف ، غير أن الملك لويس التاسع فضل أن يقف بين الفريقين موقف الحياد ، وأن يستغل نزاعهما لصالحه.

ولـمّا يئس الملك الناصر يوسف من مساندة لويس التاسع له ، زحف بجيوشه نحو مصر ، وسارع أيبك للقائه ، ولكنه خشى في الوقت نفسه أن يقوم الصليبيون بهجوم مفاجئ على مصر ، فأمر بهدم ثغر دمياط، وهو طريقهم في عبورهم إلى سائر البلاد.

ثم التقى المماليك بالأيوبيين في معركة عامة عند بلدة العباسة بين مدينتي بلبيس والصالحية في ٣ فبراير سنة ١٢٥١م ، انتصر فيها الملك الناصر أول الأمر، ولكن فرقة من مماليكه خذلوه، وانضموا إلى جيش أيبك، مما أدى ذلك إلى انتصار أيبك على الناصر يوسف، ولم يكتف الملك أيبك بهزيمة الملك الناصر في هذه المعركة، بل قرر أن يواصل زحفه إلى الشام حتى يقضي على مراكز المقاومة الأيوبية، ولكي يضمن النجاح لمشروعه ، عرض على الملك لويس التاسع أن يكون إلى جانبه ، ووعده ببيت المقدس بمجرد استيلائه عليه من الملك الناصر يوسف، ووافق لويس على هذا العرض وفي أوائل مايو سنة ١٢٥٢ قام أيبك ولويس بوضع خطة بينهما للزحف على الشام، ويقوم لويس بالاستيلاء على يافا، ويقوم أيبك بالاستيلاء على غزة ، ومن هناك يتم الاتصال بين الجيشين للقيام بهجوم عام مشترك على ولايات

الأيوبيين، وبالفعل استطاع الملك لويس الاستيلاء على يافا دون مقاومة، بينما تقدم المماليك بقيادة أقطاي نحو غزة، غير أن الملك الناصر يوسف، الذي علم بأخبار هذا التحالف سبقهم إلى احتلالها بقوة حربية كبيرة، مما أدى ذلك إلى انقطاع الاتصال بين المماليك وحلفائهم الصليبيين.

واستمرت جيوش المماليك في الصالحية، وجيوش الأيوبيين في غزة، كل منهما تتحفز بالأخرى، إلى أن أنقذ الموقف أخيرًا الخليفة العباسي المستعصم عندما توسط لدى الفريقين، وتمكن من عقد صلح بينهما في أبريل ١٢٥٣م (٦٥١هـ) على أن يكون للمماليك مصر وجنوب فلسطين، بما في ذلك غزة وبيت المقدس ، بينما تظل البلاد الشامية في يد أصحابها من أبناء البيت الأيوبي.

وهكذا فشل لويس التاسع في تحقيق آماله باعتلاء بيت المقدس، ولم يستطع بعد ذلك البقاء في الشام، فرجع إلى بلاده سنة ١٢٥٤م.

ولم يكن هدف الخليفة العباسي من الصلح بين الأيوبيين و المماليك إيقاف التغلغل الصليبي في شؤون الشرق العربي فحسب، بل كان يهدف أيضًا إلى توحيد الجهود لتكوين جبهة إسلامية أمام خطر جديد أشد من الخطر الصليبي، وهو الخطر المغولي الذي كانت جحافله قد اجتاحت الحدود الإسلامية الشرقية بقيادة جنكيز خان.

جنكيز خان

obeikandl.com

ولم يكن الصراع بين المماليك والأيوبيين هو العقبة الوحيدة التي واجهت دولة المماليك في بداية نشأتها ، بل كان هناك عقبات أخرى، وكانت العقبة الثانية التي اعترضت السلطان أيبك هي الثورة الشعبية التي قامت بها القبائل العربية التي استوطنت مصر بعد الفتح الإسلامي، ويرجع الدافع لهذه الثورة إلى سببين:

الأول: أن هذه القبائل كانت تشتغل بالزراعة، وكان أمراء المماليك يتعسفون مع الأعراب في تحديد أثمان المنتجات الزراعية واحتكارها ، فأدت هذه السياسة إلى سخط الأعراب على المماليك؛ وأما السبب الثاني فهو أن الأعراب كانوا يهدفون لإلغاء حكم المماليك ؛ لأنهم من الجنس التركي ، وليسوا أحرارًا ، وإعادة الحكم إلى العرب الأحرار أصحاب السيادة القديمة على البلاد.

تعذيب المماليك لأحد الأشخاص

obeikandl.com

وقد تزعم ثورة القبائل العربية أحد الأشراف العلويين، وهو حصن الدين بن ثعلب الذي طمع في السلطنة ، وصرح بأن ملك مصر يجب أن يكون للعرب وليس للعبيد الأرقاء ، وأستطاع أن يقيم دولة عربية مستقلة في مصر الوسطى، وفي منطقة الشرقية بالوجه البحري، وكانت قاعدة هذه الدولة بنواحي الفيوم في بلدة تعرف بذروة الشريف نسبة إليه، وقد بعث حصن الدين برسالة إلى الملك الناصر يوسف الأيوبي يطلب منه مساعدته في محاربة أيبك، ولكن الملك الناصر لم يستجب له احترامًا للصلح الذي تم بينه وبين أيبك.

وكان العرب يومئذ في كثرة من الرجال والخيل والمال، فاجتمعت حشودهم بالقرب من ديروط، وأقسموا يمين الطاعة والولاء لزعيمهم حصن الدين ثعلب، وبلغ عدتهم اثنى عشر ألف فارس، فأرسل إليهم الملك المعز أيبك الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار، والأمير فارس الدين أقطاي المستعرب في خمسة آلاف فارس من خيرة المماليك، وتوجه أقطاي بجيشه إلى الشرقية حيث كانت أكبر مظاهر العصيان، وعلى الرغم من قلة عدد المماليك بالقياس إلى العرب،إلا أن المماليك تغلبوا على العرب بسبب خبرتهم الحربية ، ومهارة قائدهم أقطاي، وفرَّ حصن الدين ثعلب هاربًا ، ثم طلب الأمان من الملك أيبك فآمنه، واستدعاه إليه، وسرعان ما قبض

عليه وعلى سائر أصحابه، وكانت عدتهم نحو ألفي وستمائة رجل، فأمر الملك أيبك بشنقهم جميعًا.

وقام بإرسال حصن الدين ثعلب إلى الإسكندرية حيث حبس بها ، وفي الوقت نفسه سارع الملك أيبك إلى إخماد ثورات العرب في أنحاء البلاد، وفرض عليهم المزيد من الضرائب والمكوس، وعاملهم بالعسف والقهر، فانتهت ثوراتهم طوال العصر المملوكي.

طرق التعذيب في العصر المملوكي

obeikandl.com

وأما العقبة الثالثة التي واجهت دولة المماليك في بدايتها، فهي أن فارس الدين أقطاي قد استفحل نفوذه لا سيما بعد نجاحه في القضاء على ثورة العرب، وقد انضمت مجموعة من المماليك إلى أقطاي، فأصبح ملجأ لهم يسألونه في حوائجهم ، ويكون هو المتحدث باسمهم مع الملك أيبك، بل كانوا يدفعون أقطاي نحو السلطنة ، ولقبوه فيما بينهم بالملك الجواد ، بل إنهم تآمروا على قتل أيبك ليصعد أقطاي على عرش السلطنة، وعملوا على تزويج أقطاي من إحدى أميرات البيت الأيوبي ، وهي ابنة الملك المظفر تقي الدين محمود ملك حماة، وعندما طلب أقطاي من أيبك أن يأذن له في الإقامة مع عروسه بقلعة جبل المقطم لكونها من بنات الملوك، حينئذ أيقن أيبك أن أقطاي يخطط لخلعه.

وكان أيبك قد عمل على استرضاء أقطاي ، فأقطعه ثغر الإسكندرية، ولكن سكوت أيبك جعل أقطاي يتمادى في تصرفاته بحيث كان إذا ركب من داره إلى القلعة ، سار في موكب فخم يفوق موكب الملك أيبك، فحينئذ صمم أيبك على قتل أقطاي، وفي يوم الأربعاء ٣ شعبان ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤م طلب أيبك من أقطاي الحضور إلى قلعة الجبل للتشاور ، وبمجرد دخول أقطاي القلعة أغلقت الأبواب، وأمر أيبك بالقبض عليه وقتله.

وانتشر خبر مقتل أقطاي في القاهرة، فسارع أصحابه في نحو السبعمائة فارس، ووقفوا تحت القلعة ، وفي ظنهم أنه لم يقتل، وإنما قبض عليه ، فأمر أيبك بإلقاء رأس أقطاي إليهم، فُسقط في أيديهم ، وخشوا أن تدور الدائرة عليهم، فهرب من استطاع منهم الهرب، فمنهم من ذهب إلى الملك المغيث صاحب الكرك، ومنهم من سار إلى الملك الناصر صاحب دمشق، ومنهم من ذهب إلى الملك علاء الدين ملك سلاجقة الروم بآسيا الصغرى، وأما من بقى منهم بالقاهرة ، فقد تتبعهم الملك أيبك وقبض عليهم، وقتل بعضهم وحبس باقيهم، وصادر أملاكهم وأموالهم.

ونودي في القاهرة ومصر بتهديد من أخفى أحدًا منهم ، وأما بالنسبة للفارين منهم إلى دمشق والكرك فقد خاف أيبك غائلتهم، فكتب إلى الملك الناصر يحذره منهم ، فانتهز الملك الناصر هذه الفرصة، وطلب من أيبك أن يعيد إليه المدن التي كان قد انتزعها منه في فلسطين، وهي القدس وساحل فلسطين، فاستجاب لطلبه ورد له هذه المدن.

ولما استتب الأمر لأيبك في مصر أرسل إلى الخليفة المستعصم بالله العباسي سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م يطلب منه تشريفه بالخلع والتقليد بالسلطنة أسوة بمن تقدمه من سلاطين بني أيوب، وظن أيبك أنه بهذا التشريف قد ارتفع إلى مرتبة السلاطين العظام ، فأراد أن يصاهر الملوك، فأرسل سنة ١٢٥٦م إلى الملك بدر الدين لؤلؤ الأتابكي [(١)] صاحب الموصل يخطب ابنته ، وكانت هذه الزيجة هي بداية النهاية للسلطان عز الدين أيبك؛ لأن شجرة الدر فهمت أن زواج أيبك من ابنة بدر الدين معناه هجرها والتخلص منها ، لا سيما بعد أن غادر أيبك القلعة وأقام في مناظر اللوق، فقامت شجرة الدر بالتدبير لقتل أيبك وأحكمت خطتها ، فأرسلت إلى أيبك رسالة رقيقة تتطلف به وتدعوه بالحضور إليها بالقلعة ، فاستجاب أيبك لدعوتها ، وصعد إلى القصر السلطاني بالقلعة حيث أعدت له شجرة

(١) هو لؤلؤ بن عبد الله النوري بدر الدين الأرمني الأتابكي ، كان في الأصل مملوكًا لنور الدين أرسلان شاه زنكي ، وقد استقل بدر الدين بالملك سنة ٦٣١ هـ بعد موت نور الدين أرسلان وأولاده من بعده.

الدر خمسة من الغلمان الأشداء لاغتياله ، وقد قام هؤلاء الغلمان بما أمرتهم به شجرة الدر وقتلوا أيبك في الحمام في ربيع الأول سنة ٦٥٥ هـ / أبريل سنة ١٢٥٧م.

وفي اليوم التالي ذاع الخبر في المدينة بمقتل أيبك، فأسرع المماليك المعزية[١] إلى القلعة وقبضوا على الخدم والحريم ، وقاموا بتعذيبهم حتى اعترفوا بحقيقة ما حدث، وعندئذ حاول المماليك المعزية قتل شجرة الدر، ولكن المماليك الصالحية[٢] حالوا بينهم وبينها ، وسعوا إلى إنقاذها باعتقالها في القلعة ، فأحاط المماليك المعزية بالقلعة وأخذوا يتحينون الفرصة لقتلها،ثم ازداد العداء لشجرة الدر بسبب حقد امرأة أيبك الأولى أم ولده علي عليها ، لأنها هي التي أرغمت أيبك على تطليقها ، ومنعته من زياراتها هي وابنها علي ، فأخذت هي وابنها يلحان في تحريض المماليك المعزية على قتلها إلى أن ضعفت مقاومة المماليك الصالحية في النهاية ، وحملت شجرة الدر إلى أم علي، فأمرت جواريها بقتلها، فضربها الجواري بالقباقيب إلى أن ماتت ، وألقوها من سور القلعة إلى الخندق وليس عليها سوى سروال وقميص، فبقيت في الخندق أيامًا ، ثم دفنت بعد أيام.

(١) نسبة إلى الملك المعز أيبك.

(٢) نسبة إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهؤلاء المماليك كان ولاتهم لشجرة الدر.

وقد انقسم المماليك بعد مقتل أيبك إلى حزبين: حزب المعزية الذين نادوا بتنصيب نور الدين علي بن أيبك سلطانًا عليهم خلفًا لأبيه، رغم أنه كان صبيًا لا يتجاوز خمسة عشر عامًا ، وأما الحزب الثاني فهو حزب المماليك الصالحية ، وكانوا يريدون تنصيب واحد من كبار أمرائهم، وهو علم الدين سنجر أتابك[1] العسكر، ولكن الغلبة كانت للمماليك المعزية، فقاموا بتنصيب نور الدين علي بن أيبك سلطانًا عليهم في ربيع الأول سنة ٦٥٥ هـ/ ١٢٥٧م ، ولقبوه بالملك المنصور ، ثم أقام أمراء المماليك المعزية الأمير سيف الدين قطز المعزي نائبًا للسلطنة، وأصبح مدبر دولة المنصور.

ثم سرعان ما قبض المماليك المعزية على علم الدين سنجر، وسجنوه في القلعة، ثم قاموا بمطاردة المماليك الذين أظهروا اعتراضهم على تولية علي بن أيبك ، فهرب بعضهم على ملوك الأيوبيين بالشام، ولا سيما الملك المغيث عمر صاحب الكرك ، حيث أخذوا يحرضونه على غزو مصر ملك آبائه وأجداده حتى استجاب لدعوتهم ، وسعى بمعونتهم في الاستيلاء على مصر فخرج بعد مرور ستة أشهر من ارتقاء المنصور نور الدين على عرش السلطنة ، واتجه نحو مصر ، فتصدى له سيف الدين قطز بقواته في الصالحية ، وانتصر عليهم، فعاد الملك المغيث مهزومًا إلى الكرك، ثم حاول الملك المغيث الاستيلاء على مصر مرة ثانية ، فخرج إليه قطز مرة أخرى لمواجهته وهزمه للمرة الثانية.

---

(١) الأتابك : هو القائد العام لجيش المماليك.

Opelkanda.com